ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾

فما دام أن القوم يُكذِّبون رسول الله ، وهم فى مأمن من العذاب ، فلابُدَّ أن يتمادوا فى تكذيبهم ، ويستمروا فى عنادهم لرسول الله ؛ لذلك يتوجه الحق - سبحانه وتعالى - إلى الناحية الأخرى فيعطى رسوله ﷺ المناعة اللازمة لمواجهة هذا الموقف ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ .. (١٣٠) ﴾ [طه] لأن لك بكل صبر أجراً يتناسب مع ما تصبر عليه .

والصبر قد يكون مَيْسوراً سهلاً فى بعض المواقف ، وقد يكون شديداً وصَعْباً ويحتاج إلى مجاهدة ، فمرَّة يقول الحق لرسوله : اصبر . ومرة يقول : اصطبر[1] .

فما الأقوال التى يصبر عليها رسول الله ؟ قولهم له : ساحر . وقولهم : شاعر وقولهم : مجنون وكاهن ، كما قالوا عن القرآن : أضغاث أحلام . وقالوا : أساطير الأولين . فاصبر يا محمد على هذا كله ؛ لأن كلَّ قولة من أقوالهم تحمل معها دليل كذبهم .

فقولهم عن رسول الله : ساحر ، فمَن الذى سَحَره رسول الله ؟ سحر المؤمنين به ، فلماذا - إذن - لم يسحرْكم أنتم أيضاً ، وتنتهى المسألة . إذن : بقاؤكم على عناده والكفر به دليل براءته من هذه التهمة .

---

(١) وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا .. (١٣٢) ﴾ [طه] . [القاموس القويم ١/٣٦٧] .

وقولهم : شاعر ، كيف وهم أمة صناعتها الكلام ، وفنون القول شعره ونثره ، فكيف يَخْفى عليهم أسلوب القرآن ؟ والشعر عندهم كلام موزون ومُقفّى ، فهل القرآن كذلك ؟ ولو جاء هذا الاتهام من غيركم لكان مقبولاً ، أما أنْ يأتىَ منكم أنتم يا مَنْ تجعلون للكلام أسواقاً ومعارض كمعارض الصناعات الآن ، فهذا غير مقبول منكم .

وسبق أنْ قلنا : إنك إذا قرأتَ مقالاً مثلاً ، ومَرَّ بك بيت من الشعر تشعر به وتحسُّ أذنك أنك انتقلتَ من نثر إلى شعر ، أو من شعر إلى نثر . فخُذْ مثلاً قول ابن زيدون[1] :

« هذا العَذْل محمود عواقبه ، وهذه النَّبْوة غمرة ثم تنجلي ، ولن يريبني من سيدى أنْ أبطأ سَيْبه ، أو تأخر غير ضنين غناؤه ، فأبطأ الدِّلاء فَيْضاً أملؤها ، وأثقل السحائب مشياً أحفلها . ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب ، له العتب فى احتباله ، ولا عتبَ عليه فى اغتفاله .

فَإنْ يكُنِ الفعلُ الذى ساءَ واحداً   فَأفْعالُه اللائى سَرَرْنَ أُلُوفُ »

على الفور تحس أذنك أنك انتقلتَ من نثر إلى شعر .

فإذا ما قرأتَ فى القرآن مثلاً قوله تعالى : ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ .. (٣٢)﴾ [يوسف]

---

(١) هو : أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون ، المخزومى الأندلسى ، أبو الوليد ، وزير كاتب شاعر ، من أهل قرطبة ، ولد ٣٩٤ هـ ، انقطع إلى ابن جهور (من ملوك الطوائف بالأندلس) فكان السفير بينه وبين الأندلس ، فأعجبوا به ، كانت له مراسلات ، وله ديوان شعر . توفى عام ٤٦٣ هـ عن ٦٩ عاماً . [الاعلام للزركلى ١/١٥٨] .

فهل أحسست بانتقال الأسلوب من نثر إلى شعر ، أو من شعر إلى نثر ؟ ومع ذلك لو وزنت ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ.. (٣٢)﴾ [يوسف] لوجدت لها وزناً شعرياً .

وقوله تعالى : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩)﴾ [الحجر]

لو أردتها بيتاً شعرياً تقول (نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم) . ومع ذلك تقرأها فى سياقها ، فلا تشعر أنها شعر ؛ لأن الأسلوب فريد من نوعه ، وهذه من عظمة القرآن الكريم ، كلام فذٌّ لوحده غير كلام البشر .

أما قولهم « مجنون » فالمجنون لا يدرى ما يفعل ، ولا يعقل تصرفاته ولا يسأل عنها ، ولا نستطيع أنْ نتهمه بشىء فنقول عنه مثلاً : كذاب أو قبيح ؛ لأن آلة الاختيار عنده مُعطَّلة ، وليس لديه انسجام فى التصرفات ، فيمكن أن يضحك فى وجهك ، ثم يضربك فى نفس الوقت ، يمكن أن يعطيك شيئاً ثم يتفل فى وجهك .

والمجنون ليس له خُلق ، والحق سبحانه يخاطب رسوله ﷺ : ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ [القلم]

والخُلق هو الملَكة المستقرة للخير ، فكيف يكون محمد مجنوناً ، وهو على خلق عظيم ؟ ثم هل جرَّبْتُم عليه شيئاً مما يفعله المجانين ؟

أما قولهم : إن رسول الله افترى هذا القرآن ، كيف وأنتم لم تسمعوا منه قبل البعثة شعْراً أو خطباً ولم يسبق أن قال شيئاً مثل هذا ؟ كيف يفترى مثل هذا الأسلوب المعجز ، وليس عنده صنعة الكلام ؟ وإن كان محمد قد افترى القرآن فلماذا لا تفترون أنتم مثله وتعارضونه ؟

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ .. (٣٨) ﴾ [يونس]

وهكذا تقوم من نفس أقوالهم الأدلة على كذبهم وادعائهم على رسول الله .

ثم يقول تعالى ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا .. (١٣٠) ﴾ [طه]

والتسبيح هو التنزيه لله تعالى ، وهو صفة لله قبل أنْ يخلق مَنْ يُسبِّحه ويُنزِّهه ؛ لذلك يقول تعالى في استهلال سورة الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ .. (١) ﴾ [الإسراء] ؛ لأن العملية مخالفة لمنطق القوانين ، فقال : نزِّه فعل الله عن أفعالك .

إذن : فسبحان معناها أن التنزيه ثابت لله ، ولو لم يوجد المنزِّه ، فلما خلق الله الكون سبَّحتْ السموات والأرض وما فيهن لله .

فإذا كان التسبيح ثابتاً لله قبل أن يوجد المسبِّح ، ثم سبح لله أول خلقه ، ولا يزالون يُسبِّحون ، فأنت أيضاً سبِّح باسم ربك الأعلى . أي : نزِّهه سبحانه ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً وأقوالاً عمَّا تراه من المخلوقات .

ومعنى ﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ .. (١٣٠) ﴾ [طه] لأن من لوازم الخلق أن يكون مختلفاً في الأهواء والأغراض والمصالح ، يتشاكلون ويتحاربون على عَرَضٍ زائل ، فمنهم الظالم والمظلوم ، والقوي والضعيف .

إذن : لا بُدَّ من وجود واحد لا توجد فيه صفة من هذه الصفات ، ليضع القانون والقسطاس المستقيم الذي يُنظِّم حياة الخَلْق ، فهذا التنزُّه عن مشابهة الأحداث كلها ، وعن هذه النقائص نعمة يجب أن نشكر الله ونحمده على وجودها فيه ، نحمده على أنه ليس كمثله

شىء ، فذلك يجعل الكون كله طائعاً ، إنما لو مثله شىء فلربما تأبَّى على الطاعة فى « كُنْ فيكون » .

والتسبيح والتنزيه يعنى أن المقياس الذى يضبط العالم ليس كمقياس العالم ، إنما أصلح وأقوى ، وهذا فى صالحك أنت ، فساعةَ أن تُسبِّح الله اذكر أن التسبيح نعمة ، فاحمد الله على أنه لا شىءَ مثلُه . سبِّح تسبيحاً مصحوباً بحمْد ربك ؛ لأن تنزيهه إنما يعود بالخير على مَنْ خلق ، وهذه نعمة تستحق أن تحمدَ الله عليها .

ومثال ذلك - ولله المثل الأعلى - ربّ الأسرة ، هذا الرجل الكبير العاقل صاحب كلمة الحق والعدل بين أفرادها ، وصاحب المهابة بينهم تراهم جميعاً يحمدون الله على وجوده بينهم ؛ لأنه يحفظ توازن الأسرة ، ويُنظِّم العلاقات بين أفرادها . ألم نَقُلْ فى الأمثال (اللى ملوش كبير يشترى له كبير) ؟

حتى وإن كان هذا الكبير متعالياً ؛ لأن تعاليه لصالح أفراد أسرته ، حيث سيلزم كل واحد منهم حدوده .

لذلك من أسماء الله تعالى : المتعال المتكبر ، وهذه الصفة وإنْ كانت ممقوتة بين البشر لأنها بلا رصيد ، فهى محبوبة لله تعالى ؛ لأنها تجعل الجميع دونه سبحانه عبداً له ، فتكبُّره سبحانه وتعاليه بحقٌ : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ [يس]

إذن : لا يحفظ التوازن فى الكون إلا قوة مغايرة للخَلْق .

وقوله : ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾ [طه]

أى : تسبيحاً دائماً مُتوالياً ، كما أن نعم الله عليك متوالية

لا تنتهى ، فكلُّ حركة من حركاتك نعمة ، النوم نعمة ، والاستيقاظ نعمة ، الأكل نعمة ، والشرب نعمة ، البصر والسمع ، كل حركة من حركات الأحداث نعمة تستحق الحمد ، وكل نعمة من هذه ينطوى تحتها نِعَم .

خُذْ مثلاً حركة اليد التى تبطش بها ، وتأمَّل كم هى مرنة مطْواعة لك كما شئت دون تفكير منك ، أصابعك تتجمع وتمسك الأشياء دون أن تشعر أنت بحركة العضلات وتوافقها ، وربما لا يلتفت الإنسان إلى قدرة الله فى حركة يده ، إلا إذا أصابها شلل والعياذ بالله ، ساعتها يعرف أنها عملية صعبة ، ولا يقدر عليها إلا الخالق عز وجل .

لذلك ؛ فالحق - سبحانه وتعالى - يعطينا زمن التسبيح ، فيعيشه فى كل الوقت ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ..(١٣٠) ﴾ [طه]

وآناء : جمع إنْى ، وهو الجزء من الزمن ، وهذا الجزء يترقَّى حسْب تنبهك لتسبيح التحميد ، فمعنى التسبيح آناء الليل ، يعنى أجزاء الليل كله ، فهل يعنى هذا أن يظل الإنسانُ لا عملَ له إلا التسبيح ؟

المناطقة يقولون عن الجزء من الوقت : مقول بالتشكيك ، فيمكن أن تُجزِّىء الليل إلى ساعات ، فتُسبِّح كل ساعة ، أو تترقَّى فتسبح كل دقيقة ، أو تترقَّى فتُسبِّح كل ثانية ، وهكذا حسْب مقامات المسبِّح الحامد وأحواله .

فهناك من عباد الله مَنْ لا يفتر عن تسبيحه لحظة واحدة ، فتراه

يُسبِّح الله فـى كل حركة من حـركاته ؛ لأنه يعلم أنه لا يؤديـها بذاته بدليل أنها قد تُسلَب منه فى أى وقت .

إذن : فأجـزاء الوقت تختلف باخـتلاف المـقامـات والأحوال ، ألاَ تراهم فى وحدة القياس يقيسون بالمـتر ، ثم بالسنتيمتر ، ثم بالمللى متر ، وفى قياس الوقت توصَّل اليـابانيون إلى أجهزة تُحدِّد جزءاً من سبعة آلاف جزء من الثانية .

ثم يقول : ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ .. (١٣٠)﴾ [طه] ليسـتوعب الزمن كله ليله ونهاره ، والمـقامات والأحـوال كلها ؛ لذلك يقول بعض العـارفين فى نصائحه التى تضمن سلامة حركة الحياة :

(**اجـعل مـراقبـتك لمن لا تخـلو عن نظره إليك**) فهـذا الذى يسـتحق المـراقبـة ، وعلى المـرء أنْ يتنبه لـهذه المسـألة ، فـلا تكُنْ مراقبته لمن يغفل عنه ، أو ينصرف ، أو ينام عنه .

(**واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعـمه عنك**) فإذا شـربتَ كوب ماء فقُلْ : الحمد لله أن أرواك ، فساعةَ تشعر بنشاطها فى نفسك قل : الحَمـد لله . وساعةَ أنْ تُخرجـها عرقاً أو بولاً قل : الحـمد لله ، وهكذا تكون موالاة حمد الله ، والمداومة على شُكْره .

(**واجعل طاعتك لمن لا تـستغنى عنه**) فطالما أنك لا تستغنى عنه ، فهو الأوْلَى بطاعتك .

(**واجـعل خـضوعك لمـن لا تخرج عن مُـلْكه وسلطانه**) وإلاَّ فأين يمكنك أن تذهب ؟

لكن ، لمـاذا أطلق زمن التـسـبـيح بالليل ، فـقـال ﴿آنَاءِ اللَّيْلِ .. (١٣٠)﴾ [طه] وحدده فى النهار فقال ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ .. (١٣٠)﴾ [طه] ؟

قالوا : لأن النهار عادة يكون محلاً للعمل والسَّعْى ، فربما شغلك التسبيح عن عملك ، وربنا يأمرنا أن نضربَ فى الأرض ونُسهم فى حركة الحياة ، والعمل يُعين على التسبيح ، ويُعين على الطاعة ، ويُعينك أنْ تلبى نداء : الله أكبر .

ألاَ تقرأ قول الله - عز وجل - فى سورة الجمعة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ﴾ [الجمعة]

ذلك لأن حركة الحياة هى التى تُعينك على أداء فَرْض ربك عليك ، فأنت مثلاً تحتاج فى الصلاة إلى سَتْر العورة ، فانظر إلى هذا الثوب الذى تستتر به عورتك : كم يَدٌ ساهمتْ فيه ؟ وكم حركة من حركات الحياة تضافرتْ فى إخراجه على هذه الصورة ؟

أمّا فى الليل فأنت مستريح ، يمكنك التفرغ فيه لتسبيح الله فى أىّ وقت من أوقاته .

ويلفتنا قوله تعالى : ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ .. (١٣٠) ﴾ [طه] فأىّ طلوع ؟ وأىّ غروب ؟ وأىّ ليل ؟ وأىّ نهار ؟ أهى لمصر أم للجزائر أم للهند أم لليابان ؟ إنها ظواهر متعددة وممتدة بامتداد الزمان والمكان لا تنتهى ، فالشمس فى كل أوقاتها طالعة غاربة ، ففى هذا إشارة إلى أن ذكْر الله وتسبيح الله دائمٌ لا ينقطع .

ثم يذكر سبحانه الغاية من التسبيح ، فيقول ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾ [طه] ونلحظ أن الحق سبحانه يحثُّ على العمل بالنفعية ، فلم

يقُلْ : لعلِّى أرضى ، قال : لعلك أنت ترضى ، فكأن المسألة عائدة عليك ولمصلحتك .

والرضا : أنْ تصلَ فيما تحب إلى ما تؤمِّل ، والإنسان لا يرضى إلا إذا بلغ ما يريد ، وحقَّق ما يرجو ، كما تقول لصاحبك : أأنت سعيد الآن ؟ يقول : يعنى ، يقصد أنه لم يصل بعد إلى حَدِّ الرضا ، فإنْ تحقَّق له ما يريد يقول لك : سعيد والحمد لله .

فإنْ أحسنتَ إليه إحساناً يفوق ما يتوقعه منك يأخذك بالأحضان ويقول : ربنا يُديم عمرك ، جزاك الله خيراً .

إذن : رضا الإنسان له مراحل ؛ لذلك فالحق سبحانه وتعالى يقول فى الحديث القدسى كما روى النبى ﷺ : « إن الله يتجلى على خَلْقه فى الجنة : يا عبادى هل رضيتم ؟ فيقولون : وكيف لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من العالمين ، قال : أعطيكم أفضل من ذلك ، قالوا : يا رب ، وهل يوجد أفضل من ذلك ؟ قال : نعم ، أُحِلُّ عليكم رضوانى فلا أسخط بعده عليكم أبداً »[(١)] .

وهكذا يكون الرضى فى أعلى مستوياته . الغاية من التسبيح - إذن - الذى كلَّفك ربك به أنْ ترضى أنت ، وأن يعودَ عليك بالنفع ، وإلا فالحق سبحانه مُسبَّح قبل أن يخلق ، أنت مُسبِّح قبل أن يخلق الكون كله ، ولا يزيد تسبيحك فى ملكه تعالى شيئاً . ويتم لك هذا الرضا حين تُرضِى الله فيرضيك .

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخارى فى صحيحه (٧٥١٨) ، وكذا مسلم فى صحيحه (٣٠٢) من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

ثم يقول الحق سبحانه[1] :

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾

بعد أن قال الحق سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ .. ﴿١٣٠﴾ ﴾ [طه] حذره أن ينظر إلى هؤلاء الجبابرة والمعاندين على أنهم فى نعمة تمتد عينه إليها . ومعنى مَدِّ العين ألاَّ تقتصر على مجرد النظر على قَدْر طاقتها ، إنما يُوجهها باستزادة ويوسعها لترى أكثر مما ينبغى ، ومَدُّ العين يأتى دائماً بعد شغل النفس بالنعمة وتطلّعها إليها ، فكأن الله يقول : لا تشغل نفسك بما هم فيه من نعيم ؛ لأنه زهرة الدنيا التى سرعان ما تفنى .

وقوله : ﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ .. ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه] الأزواج لا يُراد بها هنا الرجل والمرأة ، إنما تعنى الأصناف المقترنة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ .. ﴿٢٥﴾ ﴾ [فصلت]

---

(١) أخرج الواحدى فى أسباب النزول (ص ١٧٤) عن أبى رافع مولى رسول الله ﷺ أن ضيفاً نزل برسول الله ﷺ ، فدعانى فأرسلنى إلى رجل من اليهود يبيع طعاماً يقول لك محمد رسول الله ﷺ : نزل بنا ضيف ولم يلق عندنا بعض الذى يصلحه ، فبعنى كذا وكذا من الدقيق أو أسلفنى إلى هلال رجب ، فقال اليهودى : لا أبيعه ولا أسلفه إلا برهن ، قال : فرجعت إليه فأخبرته . قال : والله إنى لأمين فى السماء أمين فى الأرض ، ولو أسلفنى أو باعنى لأديت إليه ، اذهب بدرعى إليه ، ونزلت هذه الآية تعزية له عن الدنيا . وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٥/٦١٢) وعزاه لابن أبى شيبة والبزار وابن أبى حاتم وابن مردويه وابن جرير . قال القرطبى فى تفسيره (٦/٤٤٣٨) : « قال ابن عطية : هذا معترض أن يكون سبباً ، لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية فى آخر عمر النبى ﷺ ؛ لأنه مات ودرعه مرهونة عند يهودى بهذه القصة التى ذكرت » .

كل واحد له شيطان يلازمه لا يفارقه . هذه هي الزوجية المرادة ، كذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) ﴾ [الصافات]

والزَّهْرة إشارة إلى سرعة النهاية والحياة القصيرة ، وهي زَهْرة لحياة دنيا ، وأيّ وصف لها أقل من كَوْنها دنيا ؟ وهذا الذي أعطيناهم من متاع الدنيا الزائل فأخذوا يزهُون به ، ما هو إلا فتنة واختبار ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ .. (١٣١) ﴾ [طه]

والاختبار يكون بالخير كما يكون بالشر ، يقول تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً .. (٣٥) ﴾ [الأنبياء]

ويقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) ﴾ [الفجر]

ويشكر أنه عرفها لله ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) ﴾ [الفجر]

وهنا يُصحِّح لهم الحق سبحانه هذه الفكرة ، يقول : كلاكما كاذب في هذا القول ، فلا النعمةَ دليلُ الإكرام ، ولا سلبها دليلُ الإهانة : ﴿ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ[1] أَكْلاً لَّمًّا (١٩) ﴾ [الفجر]

فهَبْ أن الله أعطاك نعمة ولم تُؤدِّ شكْرها وحقَّها ، فأيُّ إكرام فيها ؟

ثم يقول تعالى : ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) ﴾ [طه] أي :

(١) التراث : ما يتركه الميت من مال فيورث عنه . قال تعالى : ﴿ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) ﴾ [الفجر] . أي : تأكلون ما ترثونه أكلاً لماً جامعاً للحلال والحرام ، وهو تصوير للطمع والحرص الشديد على الدنيا . [القاموس القويم ٢/ ٣٢٩] .

لا تشغل بالك بما أعطاهم الله ؛ لأنه سبحانه سيعطيك أعظم من هذا ، ورزْق ربك خير من هذا النعيم الزائل وأبْقى وأخلد ؛ لأنه دائم لا ينقطع فى دار البقاء التى لا تفوتها ولا تفوتك ، أما هؤلاء فنعيمهم موقوت ، إمّا أنْ يفوتهم بالفقر ، أو يفوتوه هم بالموت .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾

هنا يعطينا الحق - تبارك وتعالى - منهجاً لإصلاح المجتمع وضمان انسجامه ، منهج يبدأ بالوحدة الأولى وهو ربُّ الأسرة ، فعليه أنْ يُصلح نفسه أولاً ، ثم ينظر إلى الوحدة الثانية ، وهى الخلية المباشرة له وأقرب الناس إليه وهم أهله وأسرته ، فهو مركز الدائرة فإذا أصلح نفسه ، فعليه أنْ يُصلح الدوائر الأخرى المباشرة له .

فقوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ .. ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه] لتستقيم الوحدة الأولى فى بناء الكون ، فإذا ما صلُحَتْ الوحدة الأولى فى بناء الكون ، فأمَرَ كل واحد أهله بالصلاة ، استقام الكون كله وصلُح حال الجميع .

والمسألة هنا لا تقتصر على مجرد الأمر وتنتهى مسئوليته عند هذا الحدِّ إنما ﴿ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا .. ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه] لأن فى الصلاة مشقة تحتاج إلى صبر ، فالصلاة تحتاج إلى وقت تأخذه من حركة الحياة التى هى سبب الخير والنفْع لك ، فلا بُدَّ - إذن - من صبر عليها .

وفَرْق بين اصبر واصطبر : اصبر الفعل العادى ، إنما اصطبر

فيها مبالغة أى : تكلَّف حتى الصبر وتعَمَّده .

ومن ذلك أن تحرص على أداء الصلاة أمام أولادك لترسخ فى أذهانهم أهمية الصلاة ، فمثلاً تدخل البيت فتجد الطعام قد حضر فتقول لأولادك : انتظرونى دقائق حتى أُصلى ، هنا يلتفت الأولاد إلى أن الصلاة أهمَ حتى من الأكل ، وتغرس فى نفوسهم مهابةَ التكليف ، واحترامَ فريضة الصلاة ، والحرص على تقديمها على أىِّ عمل مهما كان .

وكان سيدنا عمر - رضى الله عنه - يقوم من الليل يصلى ما شاء الله له أنْ يصلى حتى يؤذن للفجر ، فيُوقظ أهله للصلاة فإنْ أبَوْا رَشَّ فى وجوههم الماء[1] ؛ لأن الصلاة خَيْر من النوم ، فالنوم فى مثل هذا الوقت فيه راحة للبدن ، أمّا الصلاة فهى أفضل وأعظم ، ويكفى أنك تكون فيها فى حضرة الله تعالى .

وهَبْ أن رب الأسرة غاب عنها لمدة شهر أو عام ، ثم فجأة قالوا : أبوكم جاء ، فترى الجميع يُهرولون إليه ، وهكذا لله المثل الأعلى ، إذا دعاك ، فلا تتخلّف عن دعوته ، بل هَرْول إليه ، وأسرع إلى تلبية ندائه ، ولك أنْ تتصوَّر واحداً يناديك وأنت لا تردّ عليه ولا تجيبه ، أعتقد أنه شىء غير مقبول ، ولا يرضاه صاحبك .

إذن : عليك أنْ تُعوِّد أولادك احترام هذا النداء . وبمجرد أن يسمعوا « الله أكبر » يُلبُّون النداء ، لا يُقدِّمون عليه شيئاً آخر ، فالله لا يبارك فى عمل ألهاك عن نداء (الله أكبر) ؛ لأنك انشغلتَ بالنعمة عن المنعم عز وجل .

---

(١) أخرج ابن ماجة فى سننه (١٣٣٦) عن أبى هريرة قال قال ﷺ : « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته فصلت ، فإن أبت رش فى وجهها الماء . رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى رشت فى وجهه الماء » .

لذلك ، إنْ أردتَ أنْ تعرف خير عناصر المجتمع فانظر إلى أسبقيتهم إلى إجابة نداء (الله أكبر) ، فإنْ أردتَ أن تعرف مَنْ هو أعلى منه منزلةً ، فانظر إلى آخرهم خروجاً من المسجد ، وليس كذلك مَنْ يأتى الصلاة دُبُراً ، وبمجرد السلام يسرع إلى الانصراف .

ويُروى أن سيدنا رسول الله ﷺ عابَ على أحد الصحابة إسراعه فى الانصراف من المسجد بعد السلام ، فتعمَّد رسول الله أنْ يناديه فى إحدى المرات ، قال : « أزهداً فينا » ؟

وهل هناك مَنْ يزهد فى رؤية رسول الله والجلوس معه ؟ فقال الرجل : لا يا رسول الله ، ولكن لى زوجة بالبيت تنتظر ثوبى هذا لتصلى فيه ، فيدعو له رسول الله ، وينصرف الرجل إلى زوجته ، فإذا بها تقول له : تأخرت بقدْر كذا تسبيحة ، فقال : لقد استوقفنى رسول الله وحدث كذا وكذا ، فقالت له : شكوتَ ربَّك لمحمد ؟

ثم يقول تعالى : ﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ .. (١٣٢)﴾ [طه] إذن : ما الذى يشغلك عن حَضْرة ربك ، الرزق ؟ ﴿لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا .. (١٣٢)﴾ [طه] فالذى لا يستطيع العمل نُوجِّه إليه من الأغنياء مَنْ يطرق بابه ويعطيه ، فالغنىّ شَرْطٌ فى إيمانه الفقيرُ ، وليس شرطاً فى إيمان الفقير الغنى .

وكأن الحق سبحانه يعطينا إشارة إلى ضرورة البحث عن الفقير ، والطَّرْق على بابه لإعطائه حقَّه فى مال الغنىّ ، لا ينتظره حتى يسأل ، ويُريق ماء وجهه وهو يطلب حَقّاً من حقوقه فى مجتمع الإيمان .

وقوله : ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ .. (١٣٢)﴾ [طه] أى : لا نسألك رزقاً ثم

نتركك ، إنما لا نسألك ثم نحن نرزقك ، فاطمئن إلى هذه المسألة .

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) ﴾ [طه] لأنك إذا تأزمتْ معك أمور الحياة تلجأ إلى الله ، كما كان النبى ﷺ إذا حَزَبَهُ أمر قام إلى الصلاة ، وتأزُّم الأمور يأتى حينما نفقد نحن الأسباب المعطاة من الله ، فإذا فقدتَ الأسباب وضاقتْ بك الحِيَل لم يَبْقَ لك إلا أنْ تلجأ إلى المسبِّب سبحانه ، كما يقول فى آية أخرى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ .. (٣) ﴾ [الطلاق]

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٣٣) ﴾

مرت بنا (لولا) فى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ .. (١٩) ﴾ [يونس] وتعنى : امتناع التعذيب لوجود الكلمة ، أما (لولا) هنا فتعنى : هلا ، للحثِّ والطلب ﴿ لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ .. (١٣٣) ﴾ [طه] كما فى ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ .. (٣٩) ﴾ [الكهف]

فكأن القرآن لا يعجبهم ، مع أنهم أمةُ بلاغة وبيان ، وأمة فصاحة وكلام ، والقرآن يخجلهم لفصاحته وبلاغته ، فأىُّ آيَة تريدونها بعد هذا القرآن ؟

﴿ وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ .. (١٣٣) ﴾ [طه] كدليل صِدْق على بلاغه عن الله كالمعجزات الحسيَّة التى حدثتْ لمن قبله من الرسل ، كما قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ

لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً (٩٣)﴾ [الإسراء]

إذن : فالآيات من الله لا دَخْلَ لي فيها ولا أختارها ، وها هو القرآن بين أيديكم يخبركم بما كان في الأمم السابقة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٤٣)﴾ [النحل]

وقال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾ [الأعلى]

وقال تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ .. (١٦٣)﴾ [النساء]

لذلك يقول تعالى بعدها : ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ (١٣٣)﴾ [طه]

فالقرآن جاء جامعاً ومُهيْمناً على الكتب السابقة ، وفيه ذِكْر لكل ما حدث فيها من معجزات حسية ، وهل شاهد هؤلاء معجزة عيسى عليه السلام في إبراء الأكمه والأبرص ؟ هل شاهدوا عصا موسى أو ناقة صالح ؟

لقد عرفوا هذه المعجزات عندما حكاها لهم القرآن ، فصارت خبراً من الأخبار ، وليست مَرْأىً ، والمعجزة الحسِّية تقع مرة واحدة ، مَنْ رآها آمن بها ، ومَنْ لم يرها فهي بالنسبة له خبر ، ولولا أن القرآن حكاها ما صدَّقها أحد منهم .

لكن هؤلاء يريدون معجزة حسِّية تصاحب رسالة محمد العامة للزمان وللمكان ، ولو كانت معجزة محمد حسِّية لكانت لمَنْ شاهدها فقط ، والحق سبحانه يريدها معجزة دائمة لامتداد الزمان والمكان ، فَمَنْ آمن بمحمد نقول له : هذه هى معجزته الدائمة الباقية إلى أنْ تقومَ الساعة .

لذلك ، كان القرآن معجزة لكل القرون ، ولو أفنى القرآن معجزته مرة واحدة للمعاصرين له فحسب لاستقبلتْه القرون الآتية بلا إعجاز ، لكن شاءتْ إرادة الله أن يكون إعجاز القرآن سراً مطموراً فيه ، وكل قرن يكتشف من أسراره على قدر التفاتهم إليه وتأملهم فيه ، وهكذا تظل الرسالة محروسة بالمعجزة .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ١٣٤﴾

يقول تعالى : أنا قطعت عليهم الحجة ؛ لأننى لو أهلكتُهم على فَتْرة من الرسل لقالوا : لماذا لم تُبقنَا إلى أن يأتينا رسول ، فلو جاءنا رسول لآمنا به قبل أن نقع فى الذُّلِّ والخزْى ، فمعنى : ولو أنَّا أهلكناهم بعذاب من قبل أن يأتى القرآن لقالوا : ربنا لولا أرسلتَ إلينا رسولاً لآمنَّا به واهتدينا .

وهذه مجرد كلمة هو قائلها ، وكما قال عنهم الحق سبحانه : ﴿ولَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ٢٨﴾ [الأنعام] إنها مجرد كلمة تنقذهم من الإشكال .

وقولهم : ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤)﴾ [طه] الذل : ما يعترى الحيَّ مما ينشأ عنه انكساره بعد أنْ كان متعالياً ، والذلّ يكون أولاً بالهزيمة ، وأذلّ من الهزيمة الأسْر ، لأنه قد يُهزم ثم يفرُّ ، وأذلُّ منهما القتل . إذن : الذل يكون في الدنيا أمام المشاهدين له والمعاصرين لانكساره بعد تعاليه .

أما الخزى : نخزى يعنى : يُصيبنا الخزى ، وهو تخاذل النفس بعد ارتفاعها . ومن ذلك يقولون : أنت خزيت. يعنى : كنت تنتظر شيئاً فوجدت خلافه .

ومنه قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. (١٩٤)﴾ [آل عمران] فإنْ عُجِّل لهم الذلُّ فى الدنيا ، فإن الخزى مُؤخَّر للآخرة حتى تكون فضيحتهم على رؤوس الأشهاد ، كما يقولون (فضيحة بجلاجل) حيث يشهد خِزْيَهم أهلُ الموقف جميعاً .

وكلمة « الخزى» هذه لها معنا موقف طريف أيام كنا صغاراً نحفظ القرآن على يد سيدنا فضيلة الشيخ حسن زغلول ـ عليه رحمة الله ـ وكان رجلاً مكفوفَ البصر ، وكنا (نستلخمه) فإذا وجدنا فرصة تفلّتنا منه وهربنا من تصحيح اللوح الذى نحفظه ، فالذى يحفظ بمفرده هكذا من المصحف يكون عرْضة للخطأ .

ومن ذلك ما حدث فعلاً من زميل لنا كان اسمه الشيخ محمد حسن عبد البارى ، وقد حضر مدير المدرسة فجأة ، وأراد أن يُسمِّع لنا ، وكان الشيخ عبد البارى لم يصحح لوحه الذى سيقرأ منه فقرأ : (إنك من تدخل النار فقد أخزيته) فقرأها بالراء بدلاً من الزاى ، فضحك الشيخ طويلاً ـ رحمه الله ـ وقال : يا بنى المعنى صحيح ، لكن الرواية ليست هكذا .

فكنا نأخذها على الشيخ عبد البارى ، فَمَنْ أراد أنْ يغيظه قال : (إنك من تدخل النار ..) ويسكت !!

فشاء الله تعالى أن يتعرض كُلٌّ منا لموقف مشابه يُؤْخَذ عليه ، وقد أُخِذ عليَّ مثلُ هذا حين قرأت دون أنْ أُصحِّح اللوح أول سورة الشورى : (حم عسق) وقد سبق لى أن عرفت (حم) لكن لم يمر بى (عسق) فقرأت : (حم عَسَقَ) بالوصل ، فصار الشيخ عبد البارى كلما قلت له : (إنك من تدخل النار ....) يقول : (حم)

فقلنا سبحان الله :

مَنْ يَعِبْ يَوْماً بشَيء لَمْ يمُتْ حتَّى يَرَاهُ

إذن : فقول هؤلاء : ﴿رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه] تمحُّك منهم : لو أرسلت لنا رسولاً لاتبعناه من قبل أنْ نذلّ فى الدنيا هزيمةً ، أو أَسْراً ، أو قَتْلاً ، ونخزى فى الآخرة بفضيحة علنية على رؤوس الأشهاد .

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

التربُّص : التحفُّز لوقوع شىء بالغير ، تقول : فلان يتربص بى يعنى : يلاحظنى ويتابعنى ، ينتظر منى هَفْوة أو خطأ ، فقوله : ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا .. ﴿١٣٥﴾﴾ [طه] فكُلٌّ منَّا يتربص بالآخر ، لأننا أعداء ، كل منا ينتظر من الآخر هفوة ويترقب ماذا يحدث له .

وقد أوضح سبحانه وتعالى توجيهات التربُّص منه ومنهم فى آية أخرى : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ .. ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة]

ماذا تنتظرون إلا إحدى الحُسْنيين : إما أن نموت فى قتالكم شهداء ، أو ننتصر عليكم ونُذلكم ، فأىٌّ تربُّص يحدث شرف لنا ، إما النصر أو الشهادة ، فكلاهما حُسْنى ، ونحن نتربَّص بكم أنْ يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ، فكلاهما سوءة .

وما دام الأمر كذلك فتربَّصُوا بنا كما تحبون ، ونحن نتربص بكم كما نريد ؛ لأن تربصنا بكم يفرحنا ، وتربصكم بنا يُؤلمكم ويُحزنكم .

ومعنى ﴿قُلْ .. (١٣٥)﴾ [طه] هنا أن القول ﴿كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ .. (١٣٥)﴾ [طه] ليست من عند محمد ، فليس فى يده زمام الكون ولا يعلم الغيب ، فهو قَوْل الله الذى قال له (قل) يا محمد ﴿كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا .. (١٣٥)﴾ [طه]

إذن : قيلت ممَّنْ يملك أزمّة الأمور وأعنّتها ، ولا يخرج شىء عن مراده تعالى ، وربما لو قُلْت لكم من عندى تقولون : كلام بشر لا يملك من الأمور شيئاً . إذن : خذوها لا بمقياس كلام البشر ، إنما بمقياس مَنْ يملك زمام أقْضية البشر كلها .

ثم يقول تعالى : ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ (١٣٥)﴾ [طه] متى سيحدث هذا ؟ ساعةَ تقوم الساعة حيث الانصراف ، إما إلى جنة ، وإما إلى نار ، ساعتها ستعلمون مَنْ أصحاب الصراط السوى : نحن أمْ أنتم ؟ لكنه سيكون علْماً لا ينفع ولا يُجدى ، فقد جاء بعد فوات الأوان ، جاء وقت الحساب لا وقت العمل وتلافى الأخطاء .

إنه علْم لا يترتب عليه عمل ينجيكم ، فقد انتهى وقت العمل ، وهكذا يكون علْماً يُزيد حسرتهم ، ويُؤذيهم ولا ينفعهم .